المحاضرة العاشرة: الأوضاع العسكرية

تمهيد:

بلغت الدولة العثمانية طيلة ثلاثة قرون الأولى من تأسيسها أوج قوتها وتوسعها الخارجي[1] حيث ما فتأت أن أصبحت من أبرز القوى والإمبراطوريات العظمى في التاريخ الحديث، وقد امتدت على مساحات واسعة خارج حدودها الإقليمية من وسط أوروبا حتى غرب آسيا وشمال إفريقيا، فضلا على أنها تضم قوميات وثقافات وأعرافا مختلفة والسبب في ذلك يعود إلى:

١- الوازع الديني والرغبة في إحياء مجد الإسلام ورفع رايته وهذا ما تبين من خلال وصية عثمان لابنه أورخان وهو على فراش الموت يوصيه بإكمال مسيرة الغزو والجهاد ضد الروم والتزام تعاليم الشريعة الإسلامية وملازمة العلماء والعدل مع الرعية والإخلاص للإسلام ورسالته.

٢- الصفة العسكرية للسلاطين العثمانيين الذين قادوا الجيوش فكانوا قدوة لجنودهم في الشجاعة والصبر على المشاق على غرار قادة القبائل البدوية التي انحدروا منها.

٣- انشاءهم لأول جيش نظامي في العالم عرف بالجيش الانكشاري الذي يعد عماد الدولة العثمانية في توسعاتها وأداة حكمها في مختلف ولاياتها.[2] حيث صنع مجد سلاطين آل عثمان وساهم في تماسك الإمبراطورية العثمانية.

تعريف الانكشارية: هي جمع لكلمة انكشاري، وهي عبارة تركية تتكون من كلمتين يني yeni وتعني الجديد وجيري çeri تعني النظام أي النظام الجديد

---

[1]- يوسف عبد الكريم طه مكي الرديني: المؤسسة العسكرية العثمانية ١٢٩٩-١٨٣٩ دراسة تاريخية، ط١، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤، ص.١٥

[2]- جميلة معاشي: المرجع السابق، ص٠٢.

يني جيري yeniçeri.

وهو مصطلح أطلق على فرقة عسكرية من فرق الجيش العثماني وتعني الجنود الجدد أو الجيش الجديد، عرفت هذه الفرقة على أنها أقوى فرق الجيش العثماني وأكثرها نفوذا. ظهرت لأول مرة في عهد السلطان أورخان الأول وهو ثاني سلاطين آل عثمان (١٣٢٦-١٣٦٢) عندما عرض عليه شقيقه الأكبر ووزيره الأول (الصدر الأعظم) علاء الدين وقاضي العسكر قرة خليل جندرلي[٣] حيث قام بتأسيس نوعان من القوات العسكرية وهي:

١- القوات الاقطاعية التي يعود لها الفضل في نشأة الدولة العثمانية.

٢- تأسيس جيش نظامي (الانكشارية) من أجل ضمان بقاء واستمرارية قوة الدولة العثمانية وتوسعاتها خاصة بعد أن تبين عدم قدرة الفرسان على ضمان ذلك لقلة عددهم وعدم تفرغهم كليا للعمل العسكري لاسيما وأن الدولة العثمانية كانت في توسع دائم ومستمر.

لقد تكونت فرقة النظام العسكري الجديد بفضل عملية الدوشرمة وهي عملية تقوم بجمع الصبية المسيحيين (الأسرى) سواء كانوا يتامى أو عبيد أو مشردين والذين تم تركهم بسبب الحروب[٤] والفتوحات الإسلامية داخل المدن وخارجها أو حتى من الأتراك الأصليين الذين فضل أهلهم تنشأتهم النشأة العسكرية على مبادئ الجيش الانكشاري، حيث حرص السلطان العثماني على تعليمهم الدين الإسلامي وتربيتهم وتكبيرهم على أساس أن يكونوا مقاتلين أشداء وتدريبهم على حب القتال وفنون الفروسية والمهارات القتالية العالية.

---

[٣]- إذ ياسين طه ظاهر: قراءة في عوامل نهوض الدولة العثمانية وفي أسباب سقوطها، مجلة كلية المأمون، العدد ١٨، ٢٠١١، ص٠٥.

[٤]- حنيفي هلايلي: بنية الجيش الجزائري، المرجع السابق، ص٠٩

أما قضية الفصل بينهم وبين أهلهم الأصليين وذلك رغبة في أن لا يعرفوا أبا لهم غير السلطان فهو أبوهم الروحي فلا يدينون بالولاء لأحد غير السلطان فقط واعتبروا الحروب والمعارك جهاد في سبيل الله وهي الحرفة الأساسية لهم. وكان السلطان يرى أن تستفيد منهم الدولة العثمانية في فتوحاتها ومعاركها.

شروط التدريب: يتم اختيار أفراد الجيش من الصبية (١٠-١٥ سنة) أو أقل من ذلك فصغر سنهم يسهل عملية انصهارهم في الجيش وكان تدريبهم يتم في معسكرات خاصة بالجيش العثماني يتلقون فيها تعليم عن فنون القتال على يد أكفأ القادة العسكريين في الدولة العثمانية كما يتم غرس فيهم الولاء الدائم للسلطان شخصيا فلا علاقة لهم بأي انتماءات أخرى سواء عرقية أو قبلية. كانت حياتهم قاسية قتالية من الدرجة الأولى حيث التدريب العسكري الشاق الذي جعلهم يتمتعون بفنون قتالية عالية ومميزة للغاية. وكانوا لا يخرجون من تلك المعسكرات القتالية إلا بأمر من السلطان نفسه حتى أصبحت تلك الفرقة من أقوى الفرق القتالية في الجيش العثماني.

وإذا كان السلطان أورخان هو مؤسس فرقة الانكشارية فإن ابنه وخليفته السلطان مراد الأول قد وضع قوانينها وتنظيماتها منها ١٤ مادة وهي كالآتي:

١- الطاعة التامة لقائد الجيش.

٢- وحدة الصف والإقامة.

٣- البعد عن البذخ وعن كل ما يشين الانكشاري.

٤- الارتباط التام بالشريعة الإسلامية والطريقة البقطاشية.[٥]

---

[٥]- الطريقة البقطاشية: يقوم شيخها بمباركة الجندي وذلك بوضع يده على رأس الجندي الجديد داعيا له بالنصر المبين على الأعداء وأطلق عليهم اسم يني تشري أي الجيش الجديد. للمزيد ينظر:

Mouloud Gaid : LAlgerie sous les turcs, Alger Ed Mimouni , 1991, p102

٥- عدم قبول غير المجندين عن طريق الدوشرمة أو الدفشرمة.

٦- خصوصية الإعدام بالنسبة للانكشاري.

٧- الترقية حسب الأقدمية.

٨-لا يعاقب الانكشاري إلا من طرف قائده (الأغا).

٩- يحال المعاق على التقاعد.

١٠- يجب على الانكشاري أن يحلق ذقنه لأن اللحية من حق الأحرار فقط.

١١- منع الزواج على الانكشاري.

١٢- لا يحق للانكشاري الابتعاد عن الثكنة.

١٣- لا يجوز للانكشاري احتراف أي مهنة.

١٤- يمضي الانكشاري أوقاته في احتراف التدريب على فنون القتال.[٦]

تقسيم الجنود: يتم تقسيم المجندين إلى ثلاث مجموعات أساسية هي:

١- **المجموعة الأولى:** يتم تأهيلها للعمل في قصور السلاطين وتسمى "القابي قول" أي عبيد السلطان. ويتم اختيارهم عادة بناءً على جمالهم وقامتهم من أجل الخدمة في القصور السلطانية بعاصمة الدولة ويتم تكوينهم في معسكرات خاصة وهي أكثر الفرق ولاءً للسلطان.

٢- **المجموعة الثانية:** تهيئ لشغل الوظائف الإدارية المهمة في الدولة العثمانية .

٣- **المجموعة الثالثة:** يتم تدريبها لتشكيل فرقة المشاة وهي الأكبر عددا وتضم معظم المجندين للخدمة العسكرية.

---

[٦]- جميلة معاشي: المرجع السابق، ص٥٠.

خصائص الجيش الانكشاري: كانت فرقة الانكشارية من أهم الفرق العسكرية والنواة الأساسية لقوة الدولة العثمانية حيث تميز بعدة مميزات نذكر منها:

١- الجيش الوحيد المكون من عناصر أجنبية. فبينما كانت جميع الدول تشترط خلو جيوشها من العناصر الأجنبية باستثناء المرتزقة لتضمن ولاءها وإخلاصها للدولة. اشترط العثمانيون خلو جيشهم من العناصر المحلية حتى يضمنوا انضباطه وفعاليته.

٢- عددهم كبير جدا، قوتهم القتالية عالية بحيث كانوا يقاتلون ببسالة طمعا في الشهادة وكانوا يتقدمون صفوف الجيش العثماني ويصطف خلفهم السلطان وباقي أفراد الجيش، استطاعت الدولة العثمانية بفضل وجودهم أن تتوسع بشكل كبير وأن تفتح العديد من الدول.

٣- مهامهم لم تقتصر على العمل العسكري بل تعدى إلى المهام الإدارية والسياسية هدفهم تحقيق المجد والثروة، حتى أن الأسر المسيحية كانت تدفع بأبنائها للانخراط في الجيش العثماني طمعا في الوصول إلى أعلى المراتب في الدولة (الوزارة) وقد تحقق للعديد منهم هذا الأمل بعد أدائهم المهام العسكرية وانتقالهم إلى العمل السياسي خاصة في الفترة الممتدة ما بين (١٤٥٣-١٦٢٣) حيث تولى الصدارة العظمى في الدولة العثمانية ٤٩ وزيرا معظمهم من أصول أوروبية ماعدا خمسة أتراك.

٤- تنظيمه كان تنظيما اجتماعيا أسريا فكان عبارة عن أسرة واحدة متماسكة تعيش حياة اجتماعية لا تختلف عن حياة الأسر بدليل استعمالهم أدوات المطبخ الفزان (القدر الكبير) الأوجاق (الموقد)، الصفرة (المائدة) الأودة

أو الأوضة (الغرفة)...

مع مطلع القرن ١٦م عاشت الجزائر أوضاعا غير مستقرة جعلتها عرضة للأطماع الخارجية، الامر الذي شجع ملك إسبانيا فرديناند على تحقيق أطماعه التوسعية لغزو سواحل الجزائر ولمواجهة خطر هجمات الإسبان اضطر السكان إلى طلب الحماية من الدولة العثمانية لطرد المسيحيين الغازين وإخراجهم من البلاد وفي ظل هذه الظروف ظهر الإخوة بربروس (خير الدين وعروج...) الكفيلين لتحمل مسؤولية الدفاع عن البلاد خاصة وأنهم يعدون من خيرة البحارة العثمانيين الذين كان يعول عليهم في تخليصهم من الغزاة لذلك لعبوا دورا كبيرا لا يستهان به في منطقة المغرب العربي.[٧]

[٧]– عبد الجليل التميمي: أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر،المرجع السابق، ص١١٩.